

## ثيمات الشعر الديني عند محسن السهيمي: دراسة موضوعاتية

أ. عبد الرحمن بن حسن علي منجعي عسيري\*

اعتمد للنشر في ١٤٤٧/٥/٥هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سلم البحث في ١٤٤٧/٤/٢هـ

### ملخص البحث:

يعدُّ الشعر الديني أحد الأنواع الشعرية التي تكشف عن عمق التجربة الإيمانية في الشعر العربي؛ إذ يجسد علاقة الإنسان بخالقه بتعبير ينبع من عمق التجربة الشعورية عن التوبة والرجاء والخشوع والابتهاال وغيرها من الموضوعات التي يتناولها الشعر الديني، حيث إن هذا النوع من الشعر قد شغل مكانة بارزة في ميدان الشعر العربي قديمه وحديثه، ويتجلى ذلك بوضوح في تجربة محسن السهيمي الشعرية، وقد جاء هذا البحث موسومًا بـ"ثيمات الشعر الديني عند محسن السهيمي: دراسة موضوعاتية"، ليكشف البحث عن أبرز الثيمات التي شكّلت جوهر التجربة الدينية عنده، معتمداً على المنهج الموضوعاتي في تحليل واستقراء تكرار الموضوعات ودلالاتها العميقة.

### Abstract:

#### "The Religious Poetry in the Works of Mohsen Ali Al-Suhaimi: A Thematic Study"

Religious poetry is one of the poetic genres that reveals the depth of spiritual experience in Arabic literature, as it expresses the human relationship with the Creator through feelings of repentance, hope, humility, and devotion. This type of poetry has occupied a prominent place in the heritage of Arabic poetry, both ancient and modern, due to its sincere emotional tone and its inclination toward purity and inner peace. Within this context, the present study—titled "Themes of Religious Poetry in the Works of Mohsen Ali Al-Suhaimi: A Thematic Study"—aims to explore the major themes that form the essence of Al-Suhaimi's religious experience, employing the thematic method to analyze and trace the recurrence of topics and their deep semantic structures.

The study seeks to uncover the spiritual and artistic dimensions that shape Al-Suhaimi's poetic vision, highlighting how his religious experience intertwines faith with aesthetic expression, resulting in a poetic discourse that embodies sincerity, purity, and transcendence

### المقدمة (introduction):

الحمد لله الذي أكرم الإنسان بنعمة البيان، وجعل من الشعر مرآة للوجدان، ثم الصلاة والسلام على خير من نطق بالحق والجمال، نبينا محمد وعلى الآل والأصحاب، وسلّم تسليمًا كثيرًا إلى يوم المعاد. وبعد: فيعد الشعر أحد أعرق الفنون

\* باحث في الأدب والنقد الحديث، بقسم اللغة العربية، جامعة الملك عبد العزيز.

الأدبية وأكثرها تأثيرًا في تشكل الهوية الثقافية، وقد حظي بمكانة رفيعة عبر العصور لقدرته على التعبير عن المشاعر والأفكار بأسلوب فني راقٍ، وكذلك فإن الشعر على الدوام مرآة للوجدان وبذلك تعددت موضوعاته بتعدد زوايا النظر في الحياة والوجود، وفي إطار هذا البحث يأتي يُختص الشعر الديني، بوصفه مظهرًا من مظاهر الوعي الإيماني، في حين أنه يركز على دراسة الموضوعات الدينية والقيم المتكررة في شعر محسن السهيمي، وما دعا إلى اختيار شعره على وجه الخصوص؛ هو عدم وجود دراسة نقدية تناولت شعره بشكل خاص؛ إذ إن الدراسات التي تناولت شعره كانت عابرة أو ضمنية، ولم تخصص أي منها لدراسة شعره بذاته، مما جعل الحاجة مُلحة إلى دراسة معمقة لجوانب تجربته الإبداعية موضوعاتياً، واستناداً إلى ما يتضح من حضور مكثف للشعر الديني الذي يظهر في تناوله للمناسبات الدينية الكبرى، وتوظيف المدائح النبوية، واستلهامه للمعاني والقيم الدينية، فإن ذلك قد أبرز الحاجة إلى تسليط الضوء على هذه التجربة الشعرية من منظور النقد الموضوعاتي.

#### السؤال البحثي:

ويتبلور السؤال البحثي الذي يحدد مسار الدراسة، بحيث تكون صياغة السؤال

البحثي كما يأتي:

• ما أبرز الثيمات المتكررة في الشعر الديني لدى محسن السهيمي؟

#### أهمية البحث:

وتتجلى أهمية البحث في كونه يدرس عمق المضمون الديني في شعر محسن علي السهيمي، وكونه يسلط الضوء على استكشاف الثيمات البارزة وتحليل شعره من منظور النقد الموضوعاتي.

#### منهج البحث:

يعتمد هذا البحث على المنهج الموضوعاتي، بوصفه المنهج الأنسب لهذه الدراسة، حيث يقوم بدراسة الثيمات البارزة المهيمنة في النصوص، فينطلق من فكرة أن الموضوعات الرئيسية ليست مجرد مضامين سطحية، بل تعبر عن رؤية عميقة تتعلق بعالم الشاعر النفسي والفكري، مما يساعد على الكشف عن إبداع الشاعر وتحقيق دلالة عميقة تتجاوز المعاني السطحية في النصوص.

#### الدراسات السابقة:

لم يحظ شعر محسن علي السهيمي بدراسة نقدية مستقلة تتناول شعره بشكل خاص، وبوصفه موضوعاً قائماً بذاته، وإنما تمت الإشارة إليه ضمن سياق كتب أدبية

أو الاستشهاد بشعره كنموذج أو جزء من موضوعات أوسع، وهي:

• عبد الهادي بن صالح الشهري، محفزات الإبداع في الشعر دراسة في التجربة الشعرية المعاصرة، الرياض: النادي الأدبي، ط ١، ٢٠١٦ م، في لمحة بسيطة من الكتاب؛ استشهد الكاتب بشعر محسن السهيمي -ضمن فصل المحفزات الخارجية- بقصيدة (صباحات)، حيث تناولها بشكل مختصر بعيداً عن التعمق في التحليل النقدي، ولم يتطرق للموضوعات الشعرية والأساليب الفنية في شعره.

• عبد الرحمن بن حسن المحسني، قنا عسير دراسة في حركة الفكر والأدب، بيروت: دار الانتشار العربي، ط ١، ٢٠١٥ م، حيث كان شعر محسن السهيمي ضمن النماذج الحاضرة في فصل (صورة قنا الأدبية عند الشعراء المعاصرين)، وكان حضوره في هذا الكتاب، بهدف جمع النصوص التي تناولت المكان -قنا-، والتركيز على إبراز الجوانب المرتبطة بالمكان، حيث اقتصرت إلى الإشارة لشعره في سياق معين دون الخوض في تفاصيله.

• إبراهيم بن عامر عسيري، الشعر والشعراء في محايل عسير دراسة نقدية، الشارقة: مؤسسة الانتشار العربي، ط ١، ٢٠٢٤م، ويضم نبذة يسيرة عن محسن السهيمي، وإيراد بعض نصوصه الشعرية في ملاحق الكتاب، ولم يتم التطرق لشعره إلا ضمن سياق الأبعاد الموضوعية في الحنين، واستشهد بشعره عن استذكاره للمكان، دون تقديم تحليل معمق في الجوانب الموضوعاتية أو التركيز على عناصره الإبداعية بشكل مستقل.

وهذه الدراسات قد تناولت شعره، لكن بشكل جزئي، ولم تقدم دراسة مستقلة وشاملة، مما عزز الحاجة لتقديم دراسة للجانب الموضوعاتي في شعره، والكشف عن تجربته الإبداعية، ولأن ذلك يتيح فهماً أعمق لتجربته الشعرية.

#### أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى تقديم قراءة نقدية للجانب الموضوعاتي لفهم التجربة الشعرية، حيث تتشكل الأهداف فيما يأتي:

- المساهمة في إثراء الدراسات النقدية الشعرية.
- رصد الثيمات البارزة في الشعر الديني في شعر محسن علي السهيمي.

#### خطة البحث:

• المقدمة: تتضمن مشكلة الدراسة وتساؤلاتها، وأهميتها، والمنهج المتبع فيها، والدراسات السابقة، وأهدافها، وهيكلها.

## ١. الشعر الديني:

### • ١.١ المواسم الدينية:

#### ١.١.١ رجاء المغفرة في المواسم

##### ٢.١.١.١ الفرح بإتمام الطاعة واستحضار المغفرة

### • ٢.١ المدائح النبوية:

#### ١.٢.١.١ الصلاة على النبي ﷺ وسيلة للشفاعة

#### ٢.٢.١.١ النور بعد الظلام

الخاتمة: وفيها تلخيص لأهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

المصادر والمراجع: توثيق المصادر والمراجع التي تم الاعتماد عليها في البحث.

## ١. الشعر الديني:

الشَّعْرُ لغة: هو "الْقَرِيضُ المحدود بعلامات لا يجاوزها، والجمع أشعارٌ، وقائله شاعرٌ لأنَّه يَشْعُرُ ما لا يَشْعُرُ غيره أي يعلم، وشَعَرَ الرجلُ يَشْعُرُ شِعْرًا وشَعْرًا وشَعْرًا، وقيل شَعَرَ قال الشعر وشَعَرَ أجاد الشَّعْرَ، ورجلٌ شاعرٌ، والجمع شُعْرَاءٌ".<sup>(١)</sup> والمعنى الاصطلاحي للشعر: كما عرفه ابن طباطبا بأنه "كلامٌ منظومٌ بان عن المنثور الذي يستعمله الناس في مخاطبتهم بما خُصَّ به من النُّظم الذي إن عدل به عن جهته مَجَنَّهُ الأسماعُ وفَسَدَ الذوق".<sup>(٢)</sup> وقد عرفه قدامة ابن جعفر بأنه "قَوْلٌ مَوْزُونٌ مُقَفًى يَدُلُّ عَلَى مَعْنَى".<sup>(٣)</sup>

ثم المرتكز الآخر من عنوان المبحث -كلمة الديني-، فيرجع أصل مادته إلى دين: وتعني "الطاعة، تقول دَانَ له يَدِينُ دِينًا، أي أطاعه، ومنه الدِّينُ (المِلَّةُ)، والجمع الأديانُ، ويقال: دَانَ بكذا دِيَانَةً، فهو دَيِّنٌ، وتَدَيَّنَ به فهو مُتَدَيِّنٌ، ودَيْنُهُ تَدْيِينًا: وَكَلَهُ إلى دِينِهِ".<sup>(٤)</sup> وفي معناه الاصطلاحي: هو نظام إلهي مُنَزَّلٌ، يهدف إلى إرشاد ذوي العقول والفتوة السليمة، إلى الامتثال لما جاء به النبي ﷺ من العقائد والعبادات، والقيم الأخلاقية.<sup>(٥)</sup>

يعد الدين من أبرز منابع الإلهام الأدبي، ومصدرًا خصبًا من مصادره، لما يختزنه من قيم ومفاهيم أخلاقية، وحيث يتلاقى مع رسالته في بناء الإنسان والمجتمع وتهذيب النفس، وتوجيه السلوك، ولذا فإن الأدب قد قام في خدمة العقيدة منذ القدم، من خلال التعبير عن دعوتها، والمساهمة في نشرها بين الناس، والمشاركة في ترسيخ القيم السامية.<sup>(٦)</sup>

والأدب الديني: يعرف بأنه "التعبير الفني الهادف عن واقع الحياة والكون والإنسان على وجدان الأديب تعبيراً ينبع من التصور الإسلامي للخالق عزَّ وجل

ومخلوقاته".<sup>(٧)</sup> ويستشف من التعريف أن الفن الديني لا ينفصل عن الرؤية الكونية التي يؤمن بها المسلم، ويفصح عن رؤيته التي تمزج التعبير الوجداني بالقيم الجمالية والروحية، في توازن دقيق لا يُفقد النص أدبيته ولا يفرغه من محتواه الوجداني.

وتمتاز المضامين الإسلامية باتساع رؤيتها الجمالية الواسعة، فالمسلم بطبيعته ذو نظرة بعيدة عن الزيف والكذب والتناقض، ولذا فإن التصور الجمالي الذي يتغلغل في الوجدان، ويحرك الإحساس، ويبعث الحياة في الروح هو جوهر الفن الإسلامي الحقيقي.<sup>(٨)</sup> وعلى هذا فإن الأدب الإسلامي بطبيعته "لا يكتفي بجمال التعبير وإبداع التصوير، وإنما يشترط فيه أن يكون ممتعاً نافعاً في وقتٍ معاً... ثم إن موضوع هذا الأدب رحب الآفاق، متعدد الجوانب، فهو يشمل الإنسان بعواطفه وأشواقه، وآماله وآلامه، وحسناته وسيئاته، ودينياه وآخرته".<sup>(٩)</sup>

وتتسع المضامين الدينية في رؤيتها ودلالاتها، ولكن الدراسة لا تتجه إلى تناول ذلك في عمومته؛ وإنما تركز على جانب محدد منها وهو الشعر الديني، الذي يتناول الموضوعات الدينية ويستدعي المضامين المتصلة بالعبادات، والمناسبات، والمقامات الإيمانية، دون التوسع في سائر أشكال الموضوعات الدينية.

وللأهمية التي تربط الدين بحياة المسلم وما له من تأثير عميق في مختلف الفنون، فقد تجلّى ذلك التأثير في فن الشعر، وحين يُنظر إلى العوامل التي عززت هذا الارتباط عند شعراء السعوديين، وذلك بالنظر إلى الموقع الجغرافي للمملكة العربية السعودية، وباحتضانها للمشاعر المقدسة - مكة المكرمة والمدينة المنورة - ولأنها موطنٌ للعديد من المآثر العظيمة، وشهدت أعظم غزوات النبي -صلى الله عليه وسلم-، وضمنت جبلاً شامخاً كجبل أحد، واحتضنت قبر النبي -صلى الله عليه وسلم- وهي مصدر ارتباط قوي وإلهام للشعراء؛ وعليه، فإن مكاناً احتوى كل هذه المعالم الخالدة، والمواقع التاريخية، والشواهد العظيمة جدير بأن يستثير المشاعر ويبعث في النفس معاني الإيمان لكل مسلم، ولا غرو أن يحمل من يعيش فيها مستظلاً بقداستها، ومنتفساً تاريخها العريق، في قلبه شعوراً عظيماً بالفخر والانتماء، مستلهماً ذلك من عظمة الإرث الروحي والتاريخي ما يجعله نموذجاً لذلك الاتجاه.

وقد يسوغ القول: إن الشعر الديني مجال طرقه كثيرون من الشعراء السعوديين، فلو نظرت إلى شعر السعوديين ما وجدت شاعرًا لم يطرق بشعره هذا الميدان الشريف إما بالاتجاه إلى الفكر الإسلامي وتاريخ الصدر الأول وبخاصة سيرة المصطفى -صلى الله عليه وسلم-، وإما بالاتجاه إلى الجوانب السلوكية والأخلاقية

عند المسلم".<sup>(١٠)</sup> وقد أخذ الشعر الديني مكانة واسعة، ونصيباً كبيراً من شعر الشعراء السعوديين، في مختلف مناطق المملكة، من المنطقة الوسطى (نجد)، ومن المنطقة الغربية (الحجاز)، حيث مكة المكرمة والمدينة المنورة، وكذلك شعراء المنطقة الشرقية، وشعراء الشمال والجنوب، فعكست أشعارهم بذلك عمق الارتباط الإسلامي.<sup>(١١)</sup> ونشأ هذا الاتجاه في زمن مبكر، حيث استمرت رقعته واتسعت، وذلك يعود إلى الأثر العظيم الذي خلفته الدعوة السلفية على العقول، حيث انعكست مبادئها الراسخة على أبناء هذه البلاد، إذ قام حكم الملك عبد العزيز -رحمه الله- على تطبيق الشريعة الإسلامية، متخذاً من العقيدة السلفية الصافية منهجاً واضحاً، مؤكداً تمسكه بها باعتبارها الأساس الذي يركز عليه هذا الكيان الراسخ،<sup>(١٢)</sup> وتعد هذه المبادئ الإسلامية من أهم المكونات والعوامل المؤثرة في تشكل الاتجاه الديني لدى الشعراء السعوديين.

ومحسن السهيمي ليس استثناء؛ فهو من الشعراء الذين نشؤوا على هذه الأرض، وقد تركت هذه العوامل بصمتها الواضحة في شعره، وعكست عمق ارتباطه بالقيم الدينية.

#### ١,١ المواسم الدينية:

المواسم لغةً: يرجع إلى أصل مادته إلى وسم، وسميت "مواسم لاجتماع الناس والأسواق فيها. ووسموا: شهدوا الموسم... موسم الحج سمي موسمًا لأنه معلّم يجتمع إليه، وكذلك كانت مواسم أسواق العرب في الجاهلية. قال ابن السكيت: كل مجمع من الناس كثير هو موسم. ومنه موسم منى".<sup>(١٣)</sup>

للمواسم الدينية أثر بالغ في النفوس، فهي محطات يتجدد فيها الإيمان بالله تعالى، وتسمو الأرواح بطاعات تتجاوز حدود العادة إلى فضاءات من الطهر والسكينة، وقد استلهم الشعراء هذه المواسم ونفحاتها الروحانية، وجعلوا منها مصدرًا ثريًا، وموضوعًا محوريًا لقصائدهم، فكانت تلك المواسم مصدر إشعاع يعيد صياغة المشاعر الإنسانية في أطر إيمانية، وتلك الشعائر الدينية التي تقام في المواسم بعد روحاني يلامس القلوب ويزكيها، ففي قول الله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾<sup>(١٤)</sup> ربطاً بالغ الأهمية بين تعظيم تلك الشعائر وتقوى القلوب؛ لأن التقوى حالة شعورية تظهر آثارها في أداء العبادات واحترام أوقاتها ومقامها، فلا يحرص على تعظيمها إلا قلبٌ امتلأ بحب الله وتعظيمه.

ونجد وصف هذه المواسم حاضر عند الشعراء، فقلما تجد شاعرًا مسلمًا لم

يصفها، أو يتحدث عنها بطريقةٍ ما، ويشتمل شعر محسن السهيمي على قصائد عن المواسم الدينية، ولم يقتصر ذلك على ديوان معين، وإنما كان حاضرًا في دواوينه (الصورة تنفتح عطرها - الشعر إذا تنفس - تعاويد القرى)، وكان الحضور الأبرز في ديوانه (الصورة تنفتح عطرها)، حيث يضع عنوانًا لكل مجموعة من المقطوعات الشعرية، وقد عنون مجموعةً تحت مسمى (مواسم)، خصص من ضمنها قصائد تعكس روحانية المناسبات الدينية.

تسعى الدراسة إلى الكشف عن كيفية تمثّل ثيمة رجاء المغفرة في البنية النصية، وذلك من خلال الوقوف على نماذج شعرية تتجسد فيها هذه الثيمة بوضوح في شعر محسن السهيمي، إذ إن الثيمة هي "التردد المستمر لفكرة ما، أو صورة ما، فيما يشبه لازمة أساسية وجوهرية، تتخذ شكل مبدأ تنظيمي محسوس أو ديناميكية داخلية، أو شيء ثابت، يسمح للعالم المصغر بالتشكل والتمدد".<sup>(١٥)</sup>

#### ١.١.١ رجاء المغفرة في المواسم:

في المواسم الدينية رمضان، وليلة القدر، وعشر ذي الحجة، ويوم عرفة، وغيرها من المواسم التي تتضاعف فيها أجور العباد، يشعر المسلم أنه أمام فرصة للعتق ومغفرة ما سلف من الذنوب، والسعيد "من اغتتم مواسم الشهور والأيام والساعات، وتقرب فيها إلى مولاه بما فيها من وظائف الطاعات، فعسى أن تصيبه نفحة من تلك النفحات فيسعد بها سعادة يأمن بعدها من النار وما فيها من اللفحات".<sup>(١٦)</sup> ومن تمام رحمة الله بعباده، أنهم مهما أذنبوا فإن باب التوبة مفتوح، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾<sup>(١٧)</sup> فالآية تصور الوعد الإلهي بالغفران، مهما فرط وقصر العبد مع ربه.

ورجاء مغفرة الله "ضروري للمريد والسالك والعارف، ولو فارق لحظةً لتلف أو كاد، فإنه دائرٌ بين ذنبٍ يرجو غفرانه، وعيبٍ يرجو صلاحه، وعملٍ صالحٍ يرجو قبوله، واستقامة يرجو حصولها أو دوامها، وقربٍ من الله ومنزلةً يرجو وصوله إليها؛ ولا ينفك أحدٌ من السالكين عن هذه الأمور أو عن بعضها".<sup>(١٨)</sup> ومن الأخبار الواردة في كرم الله ومغفرته لعباده؛ ما روي عن بكر بن سليم الصوّاف، أنه قال: "دخلنا على مالك بن أنس في العشية التي قبض فيها فقلنا: يا أبا عبد الله: كيف تجدك؟ قال: لا أدري ما أقول لكم، إلا أنكم ستعاينون من عفو الله ما لم يكن لكم في حساب، ثم ما برحنا حتى أغمضناه".<sup>(١٩)</sup>

ولا ينفك البعد الديني عن التعبير الشعري، فيظل حاضرًا دائمًا، ويشكل محورًا من المحاور الشعورية التي يجد فيها الشخص متنفسًا للتعبير عما يدور بداخله، وذلك بالتوجه الصادق لله طلبًا للعفو و المغفرة ، فيُظهر من خلالها أنماطًا تعبيرية يمثل افتقاره وحاجته للمغفرة، وتعد المواسم الدينية مجالًا خصبًا لرجاء الله وطلب مغفرته، ويوصف شهر رمضان أحد أبرز هذه المواسم، ويوضح ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: "مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ دَنْبِهِ".<sup>(٢٠)</sup> فقد اتخذ موقعًا يبين النصوص الشعرية، مقرونًا بطلب الصبح والتطلع إلى القبول، كما في الأبيات الآتية:<sup>(٢١)</sup>

رمضان هل فهلت الأنوار  
رباه فأقبل من عبادك سعيهم  
وتهللت بقُدومه الأمصار  
فلأنت عفو هاطل مذار

يحتل شهر رمضان مركز الثيمة الكبرى بوصفه أبرز المواسم التي تتكثف فيها الحاجة الروحية للغفران، إذ يبدأ النص بصور الفرح التي تشع بجوٍ من البهاء والانتظار المفعم بالرجاء، وممهّدًا للثيمة المركزية متوجّهاً إلى الله بالطلب والضراعة، وتتظلم بعض مفردات الأبيات ضمن عائلة لغوية<sup>(٢٢)</sup> تعبر عن التوق والحاجة للغفران وهي: (أقبل، سعي، عفو، هاطل، مدار)، مما رسّخ الحاجة الروحية للمغفرة. وإذا كان شهر رمضان في مجمله موسمًا لرجاء المغفرة، فإن العشر الأواخر منه تمثل ذروة ذلك الرجاء، ويوصفها الفترة الأسمى في تحري المغفرة، فيتصاعد الرجاء ليلبغ مداه، وتتكثف مظاهر العبادة، ويشدّ التوجه الروحي لله سبحانه وتعالى، فيصور السهيمي ذلك التوجه، بقوله:<sup>(٢٣)</sup>

ها هي العشر تجلت  
وهنا القدر يُوازي  
فاز من كان حفيًا  
ليس يبقى يا رفاقي  
غير تقوى في اصطبار  
ها هي العشر تجلت  
وهنا القدر يُوازي  
فاز من كان حفيًا  
ليس يبقى يا رفاقي  
غير تقوى في اصطبار

في هذه الأبيات الشعرية يتجلى الحقل الدلالي للسعي الروحي والفوز الأخروي من خلال مجموعة ألفاظ متقاربة في معناها السياقي وإن تباينت في جذورها المعجمية. فالفعل (دنت) يشير إلى قرب الزمن المبارك (العشر الأواخر)، بينما لفظة (المخبئين) تحيل إلى فئة المؤمنين الخاشعين الذين يتأهبون لنيل الفضل. وتتضافر

ألفاظ مثل: (ابتغى، الصيد، الثمين) في تصوير الجهد البشري في طلب الغاية العظمى، وهي ليلة القدر وما تحمله من قيمة روحية سامية. ويكتمل البناء الدلالي بألفاظ (فاز، الفوز، المبين) التي تؤكد تحقق المكافأة النهائية ووضوح نتيجتها. إن هذا التكرار اللفظي المتنوع ينسج شبكة لغوية واحدة (عائلة لغوية)، تُظهر النص في صورة مسار متكامل: اقتراب الموسم الثمين < اجتهاد المؤمن > الظفر بالجائزة الثمينة < الفوز المبين.

وهكذا يسهم تتبع الحقول الدلالية داخل النص في إبراز ثيمته المركزية، وهي قيمة العبادة والاجتهاد في العشر الأواخر بوصفها طريقاً إلى الفوز والنجاة والنعيم الخالد.

وفي قلب هذه العشر تبرز ليلة القدر، وهي جوهر العشر الأواخر، والتي اختصها النص الديني بأوصاف العظمة، كما في قوله تعالى: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾<sup>(٢٤)</sup> وكذلك الحديث الذي رواه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ قال: "مَنْ يَقُمْ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ".<sup>(٢٥)</sup> ومن هنا جاء تمثيلها في التجربة الشعرية امتداداً طبيعياً للثيمة ويتجلى بذلك الرجاء في أسمى صورته، ويجسد السهيمي ذلك بقوله:<sup>(٢٦)</sup>

لَيْلَةُ يَهْفُو لَهَا الْقَلْبُ.. وَكَمْ	نَتَحَرَّاهَا بِشَوْقٍ كُلِّ عَشْرٍ!
مَغْنَمٌ.. مَنْ قَامَهَا فَازَ.. وَمَنْ	كَانَ فِي اللَّاهِيْنَ بِنَسِ اللَّهْوِ عَذْرُ
مَنْ يُرِدْ ظَفْرًا بِهَا -حَقًّا- يَكُنْ	قَائِمًا بِالْعَشْرِ طَرًّا دُونَ هَجْرٍ
لَيْلَةُ عِرَاءٍ.. غَيْثٌ هَاطِلٌ	رَحْمَةً حَطَّتْ عَلَى طَهْرٍ وَقَدْرٍ
طَاوَلَتْ عُمْرًا تَقْضَى -طَاعَةً-	مِنْ صَهِيلِ الْمَهْدِ حَتَّى صَمَتِ قَبْرِ
لَيْلَةُ عَظْمِي.. تَسَامَى قَدْرُهَا	فَهِيَ خَيْرٌ -لَوْ تَرَى- مِنْ أَلْفِ شَهْرِ

تتجسد الثيمة المركزية للنص، وهي: ليلة القدر بوصفها فرصة وجودية كبرى، تتجاوز حدود الزمن العادي، وتمنح الساعي إليها رحمةً وفوزاً أعظم، وأجرًا أكثر من عبادة ألف شهر. باستحضار ليلة القدر وبوصفها ليلة فارقة يتعاطم فيها التوق إلى المغفرة، وتتحرك البنية الداخلية للنص بين حالتين: اليقظة التي تثمر بالظفر، والغفلة التي تُفوّت المغفرة، والعائلة اللغوية التي تتكون منها مفردات ثيمة رجاء المغفرة في هذه الأبيات هي: (يهفو، نتحراها، بشوق، فاز، ظفرًا، غيث، رحمة، طهر، خير)، هكذا تبرز ليلة القدر كأعلى تجليات الرجاء، حيث يرجى فيها الصبح الأعظم، فمُنحت المفردات ذات الصلة بهذا امتداداً دلاليًا عميقاً يُجذر ثيمة رجاء المغفرة.

ويمتدُّ هذا الرجاء إلى موسم الحج، والمؤمن في الحج يكون عارياً من دنياه، مقبلاً على ربه -جل وعلا- فيغدو بذلك مشهداً متكاملًا تتجسد فيه ثيمة رجاء المغفرة بوضوح، إذ يقبل الحاج على مناسك الحج، وقلبه محملاً بأمل الصفح والعتو، وأن يعود مطهراً نقياً من الذنوب، ويدل على عظم ذلك الرجاء الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه "قال سمعتُ النبي ﷺ يقول: (من حجَّ لله فلم يرفُثْ ولم يفسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ)".<sup>(٢٧)</sup>

وقد تمتلَّت وظهرت هذه الثيمة في شعر السهيمي، فعبر عنها بمفردات مشبعة بالشعور والتوق للمغفرة، ومعلقاً القلب في أن يعود من ذلك الموسم وقد غفرت ذنوبه، واستعاد طهره الأول، ومن ذلك قوله:<sup>(٢٨)</sup>

إلهي.. ها هي الأرواحُ حطَّتْ      ببابكِ ترتجي -طمعاً- رضاكا  
ألا فامننْ بعفوٍ منكِ إننا      نُؤملُ ما نُؤملُ من ناداكا  
وقد لُذنا ببابكِ حين صُكَّتْ      مصارعُ الرجاءِ سوى رجاكا  
فمنكِ العفوُ إن عَظُمَتْ ذنوبٌ      وما لُذنوبنا أحدٌ سواكا

تعكس الأبيات ثيمة رجاء المغفرة من خلال مشهدٍ تعدي للقلوب الخاشعة لله تعالى، المتعلقة برجاء الله والطمع في عفوهِ، وأن العفو لا يُرجى من أحدٍ سوى الله عز وجل، وأما مفردات العائلة اللغوية التي شكَّلت الثيمة الأساس في هذه الأبيات، هي: (ترتجي، طمعاً، رضاك، فامنن، بعفو، نُؤمل، الرجاء، رجاك، منك العفو)، ويتضح من خلال ذلك ثيمة رجاء المغفرة بنبرة الرجاء والانكسار بين يدي الله سبحانه، وكذلك اتساق المفردات التي شكَّلت عائلة لغوية من المفردات المترابطة.

وبعد أن أوضحت القصيدة السابقة رجاء المخبتين على انفراد، ووقوف الأرواح عند باب الله متعلقة بعفوهِ، تأتي قصيدة أخرى تتشكل فيها الثيمة بوضوح، وتكون أكثر اتساعاً حين تمتزج أصوات الحجيج بالحركة، وكلهم يحملون المقصود نفسه، أن يعودوا خفافاً قد تخلصوا من أوزارهم، مغفوراً لهم، فتكون الثيمة متمثلةً في صورة جماعية وتتماهى في الطواف والتلبية، ويجسد السهيمي ذلك في الأبيات الآتية:<sup>(٢٩)</sup>

لبيك.. ضجَّتْ بها أصواتُهُمْ شَعْفَاً      وفي رحابِ الهدى ساروا مُنبينا  
من كلِّ فجٍّ أتوا يَرجُونَ مَغْفَرَةً      وفي حِمَى البَيْتِ قد طافوا مُلبينا  
إلى المشاعرِ سارَ الرُّكْبُ واحتشدتْ      جُموعُهُمْ في منى.. باتوا مَلابينا

تتشكل الثيمة ضمن المشهد الجماعي للحجيج، مصورةً في تلبيتهم نداء الله

بقلوب خاشعة، وموحدين القول والعمل لله سبحانه وتعالى، ويرتكز فعل الرجاء على صدق قسدهم ومشقة الوصول والسير إلى المشاعر، وأما العائلة اللغوية التي تتشكل منها مفردات ثيمة رجاء المغفرة فهي: (لبيك، ضجت، شغفًا، منيبينا، يرجون مغفرة، طافوا، مليينا)، والمفردات في هذا الحقل الدلالي قد تشكلت من داخل التجربة لا من خارجها، متجذرة في الحركة الإيمانية خلال المشهد الجماعي الحي.

ويتكرر المعنى نفسه في قصيدة أخرى؛ إذ يستعيد الشاعر من خلاله اللحظة ذاتها، والمشهد ذاته، معبرًا عن الشعور نفسه، ويعيده بصورة جديدة؛ لتكون ثيمة رجاء المغفرة حاضرة، ويجسد السهيمي ذلك بقوله: (٣٠)

الله أكبر.. وارتجت حناجرهم مهلّين وفي أرواحهم رغب  
أتوك شعنا ومن آمالهم نسجوا خيط الرجاء ودمعًا ثم قد سكبوا

تتجدد الثيمة من خلال الحركة الجماعية للحجيج المصحوبة بالتلبية والذكر، وهم في حالة من الانكسار لله تعالى؛ رغبةً في العفو ورجاء المغفرة، والعائلة اللغوية التي تشكل الثيمة هي: (ارتجت، مهلّين، رغب، آمالهم، خيط الرجاء، دمعًا، سكبوا)، وقد جاءت هذه المفردات محملةً بمشاعر الرجاء، إذ جعلت منها امتدادًا لحالة إيمانية صادقة تتطلع للعفو والمغفرة.

وبعد أن تجلّت ثيمة رجاء المغفرة في السياق العام للحج، بوصفه شعيرة قائمة على التوبة والإنابة، فإن يوم عرفة يظلُّ ذروة هذا الموسم العظيم، حيث تعلق فيه الأصوات بالدعاء والمغفرة، وتسمو همم الحجيج متطلّعةً إلى رحمة الله، ويرجون العتق الأكبر من النار، وذلك لحديث عائشة رضي الله عنها قالت: إن رسول الله ﷺ قال: "ما من يومٍ أكثر من أن يُعتق الله فيه عبدًا من النَّار، من يومِ عَرَفَةَ، وإنَّهُ لَيَدْنُو ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمُ الْمَلَائِكَةَ، فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟". (٣١) والحديث يوضّح منزلة ذلك اليوم وعظمته، ويكشف عن مكانته الاستثنائية بين المواسم الدينية، بوصفه فرصة يتحقق فيها الرجاء بالعفو والمغفرة والعتق من النار، وتأتي قصيدة السهيمي "شاهدٌ ومشهود"، لتتجسّد من خلالها ثيمة رجاء المغفرة؛ إذ يقول فيها: (٣٢)

يومان في يوم.. هنا المقصود  
عرفات تأنس في الزمان بجمعة  
جمع السلام مع السلام.. وها هنا  
جمعا فكانا للأنام دلالة  
يومان في يوم.. هنا المقصود  
عرفات تأنس في الزمان بجمعة  
جمع السلام مع السلام.. وها هنا  
جمعا فكانا للأنام دلالة

يصور السهيمي تلاقي يوم الجمعة ويوم عرفة، حيث اجتمع فيه شرف الزمانين، وقد جعل القصيدة تحت عنوان (شاهد ومشهود) مستلهماً ذلك من قول الله تعالى: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾<sup>(٣٣)</sup> وقد وصفها بيومين في يوم، مشيراً إلى أنه حدث استثنائي، وحيث إنه "ليس بين المواقف كلها منذ خلق الله الأرض ومن عليها [وإلى] يوم البعث موقف يسمو بروحانية ويتسامى في روعته ويشمخ بعظمته كموقف عرفات حينما يتجلى الله تعالى برحمته على عباده الذين اتجهوا [إليه] بكل [إيمانهم] به [وإخبارهم] له؛ ليستمدوا من نور [إشراقه الإلهي] ما تزكو به [أرواحهم] وتفتح قلوبهم وتصفو به نفوسهم فيعودوا وقد ملاً عليهم هذا النور حياتهم".<sup>(٣٤)</sup> ويعكس ذلك التلاقي يقين الشاعر بأن هذا التوافق الزمني بركة تتجاوز المعتاد، ونافذة يُرجى منها الفضل والغفران، وما يتضمنه هذا التوافق من إحساس بالقبول والرضا، وعلى مستوى العائلة اللغوية التي تشكلت منها مفردات الثيمة هي: (فضل، رحمت، حبلىها ممدود، الكريم، وجود)، ويقدم النص تمثيلاً لتجربة إيمانية تتداخل فيها اللحظة الزمنية المقدسة مع التوق الروحي، فتنشغل منها صورة موحدة للرجاء.

#### ٢.١.١ الفرح بإتمام الطاعة واستحضار المغفرة:

يشكل الفرح استجابة فطرية تتولد في نفس الإنسان بعدما يتحقق أمرٌ كان ينتظر بلوغه، وهذا الشعور متجذر في الطبيعة البشرية، إلا إن دوافع ذلك الشعور قد تختلف باختلاف مقاصد الإنسان، ويجمعها الارتباط الوثيق بين الإنجاز والشعور بالرضا والسرور الناتج عنه، وبناءً على ذلك يمكن عدُّ الفرح الناتج عن أداء الطاعات وإتمامها امتداداً لهذه الاستجابة الشعورية.

وبعد فرح العبد بإتمام الطاعات من المعاني التي تتصل بأداء الطاعات؛ إذ لا ينتهي أثر العبادات فور الانتهاء من أدائها، بل يمتد إلى رجاء قبولها بعد الامتثال لأوامر الله، وينبع ذلك من ثقة العبد برحمة الله تعالى، وحسن الظن به، فيغدو الفرح بذلك نتيجة لاكتمال الطاعة، وطمعاً في مغفرة الله، ولا تنفصل لحظة الفرح بالطاعة عن إدراك العبد أن التوفيق لأداء العبادة إلى إتمامها، إنما هو توفيق إلهي محض، وفي هذا السياق، يجدر ذكر النص القرآني الذي يؤكد مشروعية هذا الفرح، بقوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِئْسَ الَّذِي كَفَرُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾<sup>(٣٥)</sup>.

ولا ينحصر تأصيل الفرح بإتمام الطاعات في النص القرآني فحسب، بل تأتي السنة النبوية لتؤكد ذلك أيضاً، من خلال حديث يظهر ارتباط العبادة بالشعور الداخلي بالرضا والسرور بعد إتمامها، وذلك في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرِحُهُمَا: إِذَا أَفْطَرَ فَرْحًا، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرْحًا

بصومه".<sup>(٣٦)</sup> لذا فإن الفرح أمرٌ متصلٌ بإتمام الطاعة، وبإدراكٍ من العبد لفضل الله عليه فيما يتيسر من العبادة، وقد أثبتت النصوص الشرعية السابقة أن الفرح الذي يعقب العبادة، يعد استكمالاً لها، وليس منفصلاً عن مضمون الطاعة، بل مرتبط بانتهاؤها من جهة، وما يرجى منها من جهة أخرى.

وفي ذلك السياق، فإن الشعر كذلك لم يخل من تناول هذا المعنى أيضاً، وانطلاقاً من ذلك، تأتي تجربة محسن السهيمي التي استلهمت هذا المعنى، حيث يظهر الفرح بإتمام الطاعات واستحضار المغفرة في ثنايا نصوصه، وتتجلى تلك الثيمة في قصيدة (العيد) التي يقول فيها:<sup>(٣٧)</sup>

بُشْرَى تَرْفُ وَعَيْثُ هَاطِلٌ فِينَا	الْعِيدُ.. رَوْضٌ تَبْدَى فِي مَاقِينَا
وفرحة.. عن فِرَاقِ الشَّهْرِ تُسَلِّينَا	الْعِيدُ.. نُورٌ عَلَى الْأُرُوحِ مَنْسَكِبٌ
مَلَانِكٌ.. ثُمَّ تَرَسُو فِي نَوَادِينَا	الْعِيدُ.. رَوْحٌ مِنَ الرَّحْمَنِ تَحْمَلُهُ
فِي ضِفَّتَيْهِ (أَقْمَانَهَا) بِسَاتِينَا	الْعِيدُ.. نَهْرٌ مِنَ (الْأَحْلَامِ) مُنْتَهَلٌ

تقدم هذه الأبيات ثيمة الفرح الناتج عن إتمام موسم رمضان، مقروناً باستحضار المغفرة وقبول الأعمال، ويأتي العيد ليجسد ذلك؛ إذ هو "موسم الفرح والسرور، وأفراح المؤمنين وسرورهم في الدنيا إنما هو بمولاهم، إذا فازوا بإكمال الطاعة، وحازوا ثواب أعمالهم بوثوقهم بوعده لهم عليها بفضله ومغفرته".<sup>(٣٨)</sup> ويتمهى العيد مع الروض والغيث والنور والروح والنهر، ويربطها بحالة داخلية من الرضا والطمأنينة، ويظل امتداد أثر الطاعة حتى بعد انقضائها، وكلها تستبطن حالة من البهجة العميقة مع حسن الظن بالله في قبولها، والعائلة اللغوية التي شكّلت الثيمة الأساس في هذه الأبيات هي: (بشري، ترف، فرحة، تسلينا)، وقد جاءت مفردات هذه الأبيات منسجمة مع المعنى الكلي للنص؛ إذ تتكون الحقول الدلالية من مفردات تدل على البهجة والفرح والانشراح، فبعضها باتصال مباشر، والبعض الآخر باتصال غير مباشر مع الثيمة الأساس.

بعد أن عرض الشاعر مظاهر البهجة والسرور المتصلة بقدم العيد، تتجه القصيدة في جزئها الآخر، إلى الكشف عن ثمرات العبادة، وما يناله المؤمن من الجزاء والغفران، حيث يغدو العيد مكافأة للصائمين، وجزاءً للمجاهدين على تهذيب نفوسهم، وقد شرع الله لهم "عقيب إكمالهم لصيامهم عيداً يجتمعون فيه على شكر الله وذكره وتكبيره وعلى ما هداهم له، وشرع لهم في ذلك العيد الصلاة والصدقة، وهو يوم الجوائز يستوفي الصائمون فيه أجر صيامهم، ويرجعون من عيدهم بالمغفرة".<sup>(٣٩)</sup>

ويصور ذلك في قوله: (٤٠)

العِيدُ.. ما العِيدُ إلا بِسْمَةً رُسِمَتْ  
العِيدُ.. فَوْزٌ لَصَوَامٍ وَقَدْ سَعِبُوا  
العِيدُ.. سَوْقٌ يَوْفَى فِيهِ مَنْ صَبِرُوا  
العِيدُ.. إِنْ قَالَ رَبِّي قَدْ عَفَرْتُ لَكُمْ  
وَمُكِّنْتُ فِي الشَّفَاهِ الْيَوْمَ تَمْكِينَا  
وَجَاهِدُوا النَّفْسَ وَاصْطَفُوا مُصَلِّينَا  
أَجْرًا.. وَقَدْ أَثْقَلُوا -طُرًّا- مَوَازِينَا  
مَا قَدْ مَضَى.. هَذِهِ -وَاللَّهِ- تَكْفِينَا

تتنظم هذه الأبيات من التصور الأولي للعيد بالبسمة بوصفها علامة أولى للفرح بالعيد، ثم إن هذه الابتسامة ليست منفصلة عن حقيقة الطاعة، بل إنها حصيلة للصيام وجهاد النفس، وقد اتسع أفق هذه الأبيات ليتجاوز حدود الفرد إلى الجماعة، من خلال صورة السوق الذي يتقاضى فيه المؤمنون جزاء صبرهم، وتتكون العائلة اللغوية التي تمثل الثيمة الأساس في هذه الأبيات: (بسمة، رسمت، الشفاه، فوز، يوفى)، والحقول الدلالية التي تتضمنها هذه الأبيات تنتظم في إبراز معنى الثيمة الأساس.

أبرزت الأبيات السابقة العيد بوصفه نتيجة مباشرة لختام موسم رمضان، وتتعد فرحته على ما سبقها من عبادة وصبر ومجاهدة للنفس، غير أن الشاعر يرسخ المعنى في قصيدة أخرى؛ ليؤكد تكرار الثيمة ذاتها، مما يكشف عن إصراره على اقتران فرحة العيد مع معنى العفو والمغفرة، معنوياً القصيدة بالعنوان السابق نفسه - العيد-، يقول فيها: (٤١)

اللهُ أَكْبَرُ  
عِيدُ الْفِطْرِ وَافَانَا  
وَالصَّوْمُ وَلَى وَعَفُوُّ الرَّبِّ قَدْ حَانَا  
العِيدُ  
ما العِيدُ إلا فرحةٌ وَهَيْتُ  
لِلصَّائِمِينَ مِنَ الرَّحْمَنِ إِحْسَانَا  
العِيدُ  
عِقْدٌ مِنَ الْأَفْرَاحِ  
بِهَجْتِهَا  
لا نَسْتَطِيعُ لَهُ فِي النَّاسِ كِتْمَانَا  
العِيدُ  
بُشْرَى  
لِصَوَامٍ وَقَدْ رِيحُوا  
وَفِي مُحْيَاهُمْ نُورٌ لَهَا بَانَا

تؤكد الأبيات استمرارية حضور ثيمة الفرحة بإتمام الطاعة واستحضار المغفرة؛ إذ يقدم الشاعرُ تدرجاً دلاليّاً من التكبير واستحضار مغفرة الله بوصفها علامتين على انقضاء موسم شهر رمضان، إلى تصوير جماعي للبهجة في صورة العقد الذي تنتظم فيه الأفراح، وقد عبّر في الأبيات السابقة عن الصورة الجماعية بالسوق، ويعيد الصورة الجماعية مرة أخرى هنا بمفردة العقد، فتكشف عن رؤية تجعل العيد تجسيداً متكرراً للثيمة الأساس، على الرغم من اختلاف الألفاظ، والعائلة اللغوية التي كوَّنت الثيمة في هذه الأبيات هي: (فرحة، وهبت، عقد، الأفراح، بهجتها، بشرى، ربوا، نور)، ويتضح أن الأبيات قد أبرزت الثيمة بوضوح من خلال تماسك الحقول الدلالية التي تتصل بالثيمة، فجعلتها بذلك أكثر وضوحاً.

بعد أن أظهرت قصيدتنا العيد السابقتين حضور ثيمة الفرحة بإتمام الطاعة واستحضار المغفرة، فإن تجربة السهيمي الشعرية تمضي لتؤكد المعنى أو الثيمة نفسها في سياق آخر، وهو يوم عرفة، مما يكشف عن استمرارية الثيمة وتنوعها في أكثر من موسم من المواسم الدينية، وتتجلى في قوله: (٤٢)

وربَّ يَوْمٍ كَيَوْمِ الْعَرْضِ قَدْ حُشِرْتُ لَهُ الْخَلَائِقُ أَفْوَاجًا عَلَى الصُّعْدِ  
لَبِثْتُ نِدَاءَ خَلِيلِ اللَّهِ وَابْتَهَلْتُ تَرْجُو النِّجَاةَ عَلَى تَقْوَى وَفِي رَشْدٍ  
نَادَاهُمْ الْحَقُّ أَنْ قَوْمُوا فَقَدْ غُفِرَتْ دُنُوبِكُمْ.. فَانْجَلِي مَا كَانَ مِنْ كَبَدٍ

ترسم الأبيات مشهد الحجاج ووقوفهم على صعيد جبل عرفة، مع استحضار عظمة الموقف، والامتثال الذي يجسده النداء والوقوف لتأدية الشعائر، ويستقر المشهد عند تحقق المغفرة بوصفها الغاية القصوى للطاعة، والعائلة اللغوية التي أكدت حضور الثيمة هي: (ابتهلت، ترجو، النجاة، رشد، قوموا، غفرت، انجلي، ما كان من كبد)، ويعيد السهيمي تكرار هذه الثيمة ليكشف عن قدرتها على الاستمرار والاتساع في أكثر من موسم من المواسم الدينية، واتصال الفرحة بمعنى الطاعة والمغفرة.

وبعد أن بيّنت الدراسة تلك المواسم العظيمة، والمشاهد الروحانية، والنفحات الإيمانية، نتأمل من كان سبباً للوصول إلى كل ذلك، وهو النبي المرسل بالهدى، الذي علّمنا كيف نتوجه إلى الله في إحياء هذه الشعائر العظيمة، ونمنتلها احتفاءً برسالته، واتباعاً لسنة، ففي كل عمل وموسم تظل صورة الحبيب المصطفى ﷺ حاضرة.

## ٢،١ المدائح النبوية:

المدح لغة: "الميم والదال والحاء أصلٌ صحيح يدلُّ على وصفٍ محاسنٍ بكلام جميل، ومَدَحَهُ يَمْدَحُهُ مَدْحًا: أحسن عليه الثناء، والأمدوحة: المدح؛ ويقال المنقبة

أَمْدُوْحَةٌ أَيْضًا".<sup>(٤٣)</sup> ويتفق معه ابن منظور في المعنى اللغوي بأنه: "تقبض الهجاء وهو حُسْنُ الثناء؛ يقال مَدَحْتُهُ مِدْحَةً واحدةً وَمَدَحَهُ يَمْدَحُهُ مَدْحًا وَمِدْحَةً، والمدائح: جمع المديح من الشعر الذي مُدِحَ به كالمِدْحَةِ والأَمْدُوْحَةِ".<sup>(٤٤)</sup>

وفي المعنى الاصطلاحي: "هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري قصداً".<sup>(٤٥)</sup> وفي معنى آخر للمديح أو المدح بأنه: "تعبير عن إعجاب المادح بصفات مثالية، ومزايا إنسانية رفيعة، يتحلى بها شخص من الأشخاص، أو تتجلى في مآثر قوم أو في مآتي أمة من الأمم وشعب من الشعوب".<sup>(٤٦)</sup>

وقد يكون شعر المدح في أصله رغبةً من الشاعر في الحصول على المال مقابل ذلك المدح، بمعنى أنه لا ينبع عن عاطفة صادقة يوجهها نحو الممدوح، وإنما طمعاً في العطاء، والعاطفة الصادقة التي تحفز المدح بشكل طبيعي، هي عاطفة الإعجاب والتقدير لشخصية الممدوح، والمدائح النبوية تتميز بالعاطفة الصادقة، إذ لم تكن نتيجة ارتباط بالعطاء، بل نشأت عن إعجاب خالص، وحب للممدوح.<sup>(٤٧)</sup>

ولم يكن موقف الإسلام من الشعر موقف إنكار، بل إنه يتعامل معه كأداة تسمو بها القيم والمقاصد، ويتجلى ذلك في ميل النبي إلى الاستماع للشعر فإنه "وإن نزهه الله عن أن يكون شاعراً، ونزه كلامه من أن يكون شعراً، فإنه هو العربي الذي جمعت له أسباب البلاغة، وأوتي من البيان منزلة لم تطاولها أعناق البلغاء، فقوله يأتي بالمنزلة الثانية بعد كلام الله المجيد، يعجبه الشعر فيسمع منه ما كرم وسما، وما تمثل بالخلق الفاضل وتمدح بمكارم الأخلاق، فطالما استنشد الشعراء، واستمع أشعارهم، وأكد على معاني الخير فيها، وأشار إلى ما ترتضيه النفس المسلمة من ذلك الشعر".<sup>(٤٨)</sup>

وقد نزه الله تعالى عن النبي ﷺ قول الشعر في القرآن الكريم، لأن مقام النبي ﷺ فوق ذلك، بقول الله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾<sup>(٤٩)</sup> فيُعَلَى أن يقارن بأقوال الشعراء وأحوالهم، إذ يغلب عليهم المبالغة والإفراط في المدح والذم، حيث وصف الله تعالى الشعراء، بقوله: ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾<sup>(٥٠)</sup> فذلك لا يليق بشرف اصطفائه من بين الخلق، وكونه مثلاً يحتذى به في الصدق، أن يوصف بأوصافهم فلو "كان شاعراً لوجب أن يسير في نهج الشعراء، من هجاء وفخر ومديح وتشبيب، وتلك الخصال لا تتسجم مع خلق النبوة، وطبيعة الرسالة، ولو كان شاعراً لنسب العرب فضيلته وحقته البالغة إلى تأثير الشعر لا إلى نبوته ورسالته، ولا يكون بعد ذلك الكلام الذي يلقي إليه وحياً من الله، بل إلهاماً من

شيطان الشعر - وما أكثر شياطين الشعراء".<sup>(٥١)</sup>

والمدائح النبوية فن "من فنون الشعر التي أذاعها التصوف، فهي لون من التعبير عن العواطف الدينية، وباب من الأدب الرفيع: لأنها لا تصدر إلا عن قلوب مفعمة بالصدق والإخلاص".<sup>(٥٢)</sup> وبذلك أصبحت صوتاً من أصوات الحب الذي يردّدونه في حياته وبعد وفاته، "وما يقال بعد الوفاة يسمى رثاءً، ولكنه في الرسول يسمى مدحاً، كأنهم لاحظوا أن الرسول عليه الصلاة والسلام موصول بالحياة، وأنهم يخاطبونه كما يخاطبون الأحياء".<sup>(٥٣)</sup>

وقد مدح الله نبيه محمداً ﷺ في مواضع عديدة من القرآن الكريم، حيث جاء ذلك المدح بأوجه متنوعة، مما يشير إلى رفعة منزلته عند الله، ومكانته بين الأنبياء والمرسلين، ومن تلك الآيات على سبيل المثال لا الحصر، قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾<sup>(٥٤)</sup> ومنها أيضاً قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾<sup>(٥٥)</sup> وكذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(٥٦)</sup>.

حينما غاب الرسول ﷺ بجسده الطاهر عن الأرض، لم يغب ذكره، وظل حاضراً في قلوب أمته، يتردد صداه بألسنتهم وأفئدتهم، فظلت المدائح النبوية كوسيلة للتعبير الصادق عن حبه لهم، والشوق إليه، وقد انعكس هذا الارتباط الوجداني في توجه الشعراء إلى التوسل بالنبي ﷺ، وطلب شفاعته، وجعل ذلك غاية من قصائدهم، فانبثت في أشعارهم عبارات التشفع والرجاء، وامتلأت نصوصهم بالصلاة عليه ﷺ.

#### ١.٢.١ الصلاة وسيلة للشفاعة:

تعدّ الصلاة على النبي ﷺ، من أبرز الأعمال القولية التي عبر بها المسلمون عن حبه الصادق للنبي ﷺ، بوصفها أعظم السبل الموصلة إلى شفاعته، والوسيلة التي يُرجى بها النجاة يوم القيامة، ونيل القرب، ومضاعفة الأجر، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه، أن الرسول ﷺ قال: "مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيَّ عَشْرًا".<sup>(٥٧)</sup> ويكشف الحديث عن ذلك الفضل العظيم الذي يجازى به العبد عند صلته على النبي ﷺ، وقد استلهم السهيمي معنى هذا الحديث في شعره، بقوله:<sup>(٥٨)</sup>

يَا سَيِّدَ الثَّقَلَيْنِ وَعَدُّكَ صَادِقٌ مُتَدَاوِلٌ فِي صَفْحَةِ الْأَزْمَانِ  
فَدُ قُلْتُ: مَنْ صَلَّى عَلَيَّ فَإِنَّهُ مُسْتَوْجِبٌ عَشْرًا مِنَ الرَّحْمَنِ

وقد وظف الشعراء معنى صلته على النبي ﷺ طلباً للشفاعة ضمن

أشعارهم؛ وذلك تعبيراً عن توفهم العميق لهذه الشفاعة، وتطلعهم إلى رحمة موصولة بمحبته وتعظيمه، فغدت الصلاة على النبي ﷺ رمزاً للنقرب والرجاء، ومظهرًا من مظاهر التعلق بمقام النبي ﷺ؛ لذا فإن "التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم وطلب شفاعته، والصلاة عليه، مما حرص شعراء المديح النبوي على ذكره في قصائدهم، وهو جزء هام من أجزاء المدحة النبوية، فهو يجلو مشاعر الشاعر، ويظهر مكنونات نفسه، وهمومه الذاتية والعامّة".<sup>(٥٩)</sup>

وقد ظلت الصلاة على النبي ﷺ وسيلة للشفاعة ومن أبرز المعاني التي توارد حضورها في المدائح النبوية، لما تتطوي عليه من دلالات عميقة تعبر عن المحبة الصادقة، والرجاء في نيل الشفاعة، وممن انسجمت تجربتهم مع ذلك يبرز شعر محسن السهيمي، الذي احتقى بهذا المعنى، وأفرد له مساحة ظاهرة في مدائحه، فمن ذلك قوله:<sup>(٦٠)</sup>

كُلُّ امرئٍ مُسلمٍ يَرْجُو شَفَاعَتَكُمْ      يَوْمَ الْجَزَاءِ إِذَا مَا عَايَنَ الْكُرْبَا  
لَعَلَّ فِي حُبِّنَا لِلْمُصْطَفَى فَرْجًا      يُدْنِي لَنَا جَنَّةً.. يَغْدُو لَهَا سَبَبَا  
عَلَيْهِ صَلَّى إِلَهُ الْكُونِ.. فَارْتَفَعَتْ      أَصْوَاتُنَا بِصَلَاةِ تَعْتَلَى الْحُجْبَا

تستحضر الأبيات موقف العرض يوم القيامة، من خلال مشهد جماعي في لحظة تتعالى فيها الرغبة في النجاة، حينها تتوجه القلوب إلى مقام الشفاعة النبوية، بوصفها موضع الرجاء الأسمى، واستدعاء الكرب في سياق هذه الأبيات قد لا يقصد به الضعف بقدر ما يقصد به تعلق المتكلم بالشفاعة النبوية، وهذه الشفاعة لا تطلب إلا بعلاقة روحية عميقة تعبر عنها محبة النبي ﷺ؛ إذ تتمثل تلك المحبة في الصلاة عليه ﷺ، والعائلة اللغوية التي تمثل هذه الثيمة في الأبيات هي: (شفاعتكم، الكربا، فرجًا، يدني، جنة، سببًا، صلى، أصواتنا، بصلاة، تعتلي)، ويتكثف في الأبيات رجاء النجاة من النار يوم القيامة، متوسلاً بالصلاة على النبي ﷺ ومحبته، وأن الشفاعة مقصدًا لا يُنال إلا بمحبة صادقة.

وإذا كانت الأبيات السابقة قد جسدت صورة رجاء الشفاعة الجماعي يوم القيامة؛ فإنها تتجسد في موضع فردي آخر أكثر حدة، حيث يستدعي السهيمي موقف الحشر وذروة الكرب، ويتطلع إلى الشفاعة النبوية بوصفها المقصد الأسمى والوسيلة للنجاة، في قوله:<sup>(٦١)</sup>

يَا نَبِيًّا تَمَّ فِي الْحَشْرِ لِقَاهُ      يَوْمَ أَنْ يَبْلُغَ بِي كَرْبِي مَدَاهُ  
عِنْدَهَا تَأْتِي شَفِيعًا رَاجِيًا      رَحْمَةً الرَّحْمَنِ.. تَبْغِينِي النَّجَاةُ  
لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ يُكَافِيكَ سِوَى      سُنَّةِ نَمُضِي عَلَيْهَا وَالصَّلَاةُ

تتلور في هذه الأبيات ثيمة الصلاة على النبي ﷺ بأنها وسيلة للشفاعة يوم القيامة، حيث تقدم تصورًا عن العلاقة بين العبد ونيل شفاعة النبي ﷺ يوم القيامة، إذ بدأت من مشهد يوم الحشر، وعن حالة الإنسان وهو في أشد مواضع الضعف والعجز، وينظر إلى الفرج عن طريق الشفاعة النبوية، في حين أنها ليست منفصلة عن العبادة؛ فالصلاة على النبي ﷺ، والسير على هديه شرطًا للشفاعة، وتتوزع العائلة اللغوية لمفردات الأبيات بين حقلين دلاليين هما: الصلاة والشفاعة، حيث تتمثل مفردات الصلاة في: (سُنَّة، نمضي، الصلاة)، وألفاظ الشفاعة تتمثل في: (الحشر، الكرب، شفيعًا، راجيًا، رحمة الرحمن، النجاة)، والسهيمي قد مثل من خلال الأبيات السابقة تصورًا يجعل من الصلاة النبي ﷺ شرطًا لنيل الشفاعة، وجعل الثيمة تتجلى بوضوح أكثر من خلال الحقلين الدلاليين في مفردات الشفاعة ومفردات الصلاة.

بعد تصور موقف الحشر بوصفه لحظة يُرجى فيها شفاعة النبي ﷺ، ينتقل إلى استحضار مقامه ﷺ والإقرار بمكانته الرفيعة واستحقاقه لمظاهر التجبيل والسلام؛ مما يعكس تحول العاطفة من رجاء النجاة والشفاعة إلى تعظيم مقام النبي ﷺ وإبراز أثره المستمر، وبصور السهيمي تلك العاطفة بقوله: (٦٢)

سَلَامُ اللَّهِ يَتَرَى يَا حَبِيبًا يُشْفَعُ فِي الْخَلَائِقِ يَوْمَ حَشْرِ  
فَصَلُّوا مَا سَرَى فِي الرُّوحِ نَبْضٌ عَلَى خَيْرِ الْأَنَامِ بَدُونِ حَصْرِ

يتجه البيتان إلى تأصيل العلاقة بين الصلاة على النبي ﷺ، ورجاء نيل شفاعته، من خلال تقديم مشهد يوم القيامة أولاً، ثم الصلاة عليه ﷺ، وفيها يعزز معنى استمرار الصلاة على النبي ﷺ بوصفها ملازمة للروح، مرتبطة بكل نبض فيها؛ إذ إن في ذلك إشارة إلى استمراريتها وارتباطها للتأكيد على عمق حضورها في قلب المؤمن، ومركزيتها في طريق النجاة، والعائلة اللغوية التي تبين حضور الثيمة في هذين البيتين في مفردات: (سلام، حبيبًا، يُشْفَعُ، يوم حشر، فصلوا)، وعليه فإن البيتين يدلان على اقتران واضح بين الصلاة على النبي ﷺ، واستحقاق الشفاعة؛ حيث لم يكتفيا بإبراز مقام الشفاعة فحسب؛ بل وضحا الوسيلة الموصلة إليها، فجعلوا الصلاة على النبي ﷺ فعلاً لازماً لنيل الشفاعة.

ويمتد التعلق بشفاعة النبي ﷺ ويستمر بوصفه شفيعاً ودليلاً ومعلماً، حيث تغدو الصلاة عليه ﷺ مظهرًا من مظاهر الاقتداء والتسليم والرجاء الممتد للشفاعة، ويعبر السهيمي عن هذه الرؤية بقوله: (٦٣)

عَلَيْكَ الصَّلَاةُ نَبِيَّ الْهُدَى سَلَامٌ عَلَى رُوحِكَ الطَّاهِرَةِ  
لَأَنْتَ الْبَشِيرُ وَأَنْتَ الشَّفِيعُ وَأَنْتَ الدَّلِيلُ إِلَى الْآخِرَةِ

تتشكل الثيمة في هذين البيتين انطلاقاً من تمجيد النبي ﷺ، في ألفاظ تفضي إلى تعميق الصلة بين العبد والنبي ﷺ، في استحضار منزلته من خلال التدرج من كونه نبي الهدى، إلى كونه البشير، ثم الشفيع، ثم الدليل إلى الآخرة، ويكشف ذلك عن الإدراك العميق لمقام النبي ﷺ، حيث يغدو كل وصف مرحلة في طريق النجاة، وتصويراً لدور النبي ﷺ إلى المصير الأخرى، والعائلة اللغوية التي تشكلت منها الثيمة في البيتين السابقين هي: (الصلاة، نبي، الهدى، سلام، البشير، الشفيع، الدليل، الآخرة)، وبهذا تترسخ ثيمة الصلاة وسيلة للشفاعة من خلال الابتداء بالصلاة عليه ﷺ، ثم استحضار الصفات لتصل في الختام إلى تجسيد اليقين المفضي إلى النجاة في الآخرة بالشفاعة النبوية، وفي سياق ذلك يصرح السهيمي بهذا العلاقة بين الصلاة والشفاعة تصريحاً مباشراً يؤكد المعنى بقوله: (٦٤)

هنا المصطفى.. صلوا عليه فإنه شفيع لمن صلى عليه وسلم

يعتمد البيت على تقرير صريح بالعلاقة بين الصلاة والشفاعة، حيث تُقدّم الشفاعة بوصفها ثمرة مباشرة للصلاة عليه ﷺ، حيث إن الصلاة ليست قولاً معزولاً عن الشفاعة، بل إنها مسارٌ لنيل الشفاعة النبوية.

ويتسع نطاق التعبير الشعري ليرسم مشهداً كونياً حياً، يجسد فيه علاقة الصلاة على النبي ﷺ بالشفاعة، حيث تصبح فيه مظاهر الطبيعة امتداداً لصوت الصلاة عليه ﷺ، ويصور ذلك السهيمي بقوله: (٦٥)

صَلَّيْتُ.. صَلُّوا عَلَى الْمُخْتَارِ مَا بَزَعْتُ شَمْسٌ وَمَا صَدَحَتْ فِي الْأَيْكَ أَطْيَارُ  
وَعَطَّرُوا الْكُونَ مَا رُمْتُمْ شَفَاعَتَهُ فِي يَوْمِ نَحْسٍ بِهِ الْأَفْهَامُ تَحَارُ

تتشكل ثيمة الصلاة وسيلة للشفاعة في هذين البيتين ضمن بناء شعري تدرج فيه الفكرة من النداء الفردي إلى النداء الجماعي، وتتسع لتتخذ طابعاً كونياً، حيث يقترن أداؤها ببزوغ الشمس، وغناء الطيور، ولا يتوقف عند ذلك؛ إنما يتجه نحو الغاية الأسمى وهي الشفاعة، في لحظة تتعطل فيها الأسباب، وتتفرد الشفاعة كغاية تُرتجى في مواجهة المصير، وترتكز العائلة اللغوية الدالة على الثيمة في البيتين في مفردات: (صَلَّيْتُ، صَلُّوا، الْمُخْتَارِ، رَمْتُمْ، شَفَاعَتَهُ، يَوْمِ نَحْسٍ)؛ فيُظهر البيتان موقع الصلاة

بوصفها أداة مقرونة بتحقيق غاية واضحة، حيث إن الشفاعة لا تطلب مباشرة؛ بل يُتوسلُ إليها بالصلاة عليه ﷺ وجعلها طريقاً موصلاً للشفاعة.

وإن كان السهيمي من خلال الآيات السابقة قد جسّد ارتباط الصلاة على النبي ﷺ بالشفاعة، فإنه لا يكتفي في شعر المدائح النبوية بذلك فحسب؛ بل يفعل أثر مجيء النبي ﷺ بعد زمن من الجهل، ليعاد ترتيب الوجود على ضوء بعثته وهديه، بوصفه لحظة فاصلة انتهى معها زمن الجهل والظلام، ومن ذلك تنبثق ثيمة أخرى تتمثل في النور بعد الظلام بمجيء النبي ﷺ.

### ٢.٢.١ النور بعد الظلام:

شهدت الدنيا قبل بعثة النبي ﷺ، حالة من الضلال الذي أطبق على البشرية كلها، وتفاقت مظاهر التنازع والفساد والظلم، ومن هذا الواقع المظلم تبدأ البوادر الأولى لظهور النور المرتقب بعد "دنيا يسودها ظلام دامس ظلام يحمل في طياته نوراً مرتقباً وأصداءً تحمل بشرى ظهور نبي جديد وتتسرب أصداء هذه البشرية، وتطرق الأسماع والقلوب حتى بدأ الكثير من أهل مكة يتحدثون عن هذا النبي المرتقب ويوصي بعضهم بعضاً... كانت القلوب ترتقب هذا النور من هذا الطريق، وكانت الأحداث تشير إلى قرب قدومه، دنو مجيئه فحلقة الظلام تؤذن بقدوم الفجر".<sup>(٦٦)</sup> فأذن الله ببعثة النبي ﷺ فكان ذلك نوراً على الدنيا كلها.

وقد صور القرآن الكريم ذلك المشهد بقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾<sup>(٦٧)</sup> تبين الآية القرآنية عظمة ذلك الحدث الجليل والممة الإلهية العظيمة على المؤمنين، وفي آية أخرى جسدت ذلك المعنى بصورة رمزية، إذ وصفت النبي ﷺ بأنه نورٌ أرسل إلى الناس، وذلك بقوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾<sup>(٦٨)</sup> وتصور الآية هذا المجيء بوصفه نوراً إلهياً، يكشف ظلمات الجهل، ويهدي به الله من يشاء، وجعل بعثة النبي ﷺ مقرونة بصورة النور.

وقد امتد تصوير أثر البعثة النبوية على فن الشعر أيضاً، فصور مجيئه ﷺ، وعن النور الذي أحدثه، فاتخذ الشعر ذلك مناسبة للتعبير عن انبثاق النور في زمن ساد فيه الظلام، وقد تجلّى بوضوح حضور ثيمة النور بعد الظلام في شعر محسن السهيمي، حيث تظهر عنده في قصائد المديح النبوي، لتكون تجسيداً لما أحدثته تلك البعثة النبوية من النور على البشرية، وفي هذا الإطار، تبرز إحدى قصائد السهيمي

التي عبر بها عن هذا المعنى بوضوح، حيث يستدعي ثيمة النور بعد الظلام بمجيء النبي ﷺ، يقول فيها: (٦٩)

رسول الهدى قد جئت والكل سادرٌ      وفي الجهل والظلماء ساخت قوائمه  
فضاءت قصور الشام واخضرت الربا      وحامت على البيت العتيق حمائمه  
ولما قضى الرحمن أن يبسط السنا      بعثت بشيراً ليس تُحصى مكارمه

تتمثل الثيمة في تصوير الحال قبل مجيء النبي ﷺ؛ إذ تغيرت الأحوال بمجيئه وأحدث أثره التدريجي في الواقع، بأن تضاء قصور الشام، وتخصر الربا، وتستقر الحمائم على البيت العتيق، مما يشير إلى انبعاث الحياة، ونهاية عهد الظلام، وبداية حياة يعمها النور والهداية، وتتمثل الحقول الدلالية بين حقلين متقابلين: أحدهما للنور، وتمثله ألفاظ: (ضاعت، اخضرت، السنا، بشيراً) والحقل الآخر الظلام، ويتجلى في: (سادر، الجهل، الظلماء، ساخت) بهذا التدرج من مشهد الظلمة إلى إشراقه النور، تشكلت الثيمة، بوصفها تمثيلاً للنور بمجيء النبي ﷺ، ويعكس ذلك "مدى رحمة الله ولطفه وإحسانه عندما يرسل إلى الناس رسولاً من عند أنفسهم، يحس بما يحسون به، ويفكر بما يفكرون به، ويكون مرشداً وهدياً في الطريق الموصل إلى الله تعالى". (٧٠)

وفي قصيدة أخرى، تتمثل ثيمة النور بعد الظلام من خلال استدعاء مشاهد كونية، تعبر عن هذا التحول الذي رافق مجيء النبي ﷺ، على نحوٍ يعمق حضور الثيمة في التجربة الشعرية، حيث يقول السهيمي: (٧١)

أتيت كالفجر شقّ الكون فأنكشفت      أستاؤه.. وتواری الليل وانسحبا  
أتيت كالنهر عذباً طاب موره      وكنت للروح في عنق الأسي طنبا  
شمسا أتيت على الدنيا وقد عرقت      في بحر أهوائها.. والجهل قد نشبا  
بعثت بالنور فوق النور فاندحرت      عصائب الشرك.. والتوحيد قد وثبا  
فكنت كالكوكب الدرّي مؤتلقاً      ونوره في تضاعيف الأنا دهباً

تتمثل الثيمة في هذه الأبيات من خلال إشارات كونية متعددة، تدرج من مطلع الفجر إلى مشرق الشمس، واستحضار النهر والكواكب، وكل هذه بوصفها رموزاً لنور الهداية، وانكشاف النور مع بعثة النبي ﷺ، في حين ارتكز أساس تمثيل الثيمة في استعارة نور الكواكب، مما يرسخ أن مجيء النبي ﷺ كالنور ممتد على الكون كله أيضاً، والوجود، وتتنظم مفردات الثيمة بين حقلين متقابلين، الحقل الأول النور،

يتضمن ألفاظ: (الفجر، النهر، شمساً، النور، الكوكب، مؤثلاً) في حين يتمثل الحقل الآخر الظلام، في ألفاظ: (الليل، الأسي، غرقت، الجهل، نشب) ومن هنا يتجلى حضور الثيمة في هذه الأبيات من خلال الأحداث الكونية، المتمثلة في ثنائية النور والظلام.

وبعد أن صورت الأبيات السابقة لحظة مجيء النبي ﷺ، بوصفها لحظة فاصلة في كشف النور ودفع الظلمة، ينتقل السهيمي إلى تمثيل ثيمة النور بعد الظلام بوجود النبي ﷺ بين الناس، حيث استقرت معه معاني الرحمة، وأنوار الهداية، يقول فيها: (٧٢)

أرسلت للخلق طراً - رحمة.. فمضت  
ورحمت تنفخ بين الناس ما خفت  
ورحمت تسقي بماء الحب ما نبتت  
حتى استقرت على جودي شريعتكم  
أنوار هديك في أرواحهم رعباً  
له القلوب.. وأجلى صدقه الربياً  
منه جنان النقى.. بل أينعت ذهباً  
سفائن الحق.. واشتاط العدا غضباً

تمثل هذه الأبيات ثيمة النور بعد الظلام من خلال تصوير الأثر المستمر لحضور النبي ﷺ، إذ إن نور الهداية قد مضى إلى أرواح الناس، وقد رسم السهيمي صورة لهذا الامتداد من خلال سقي الماء إلى استقرار سفن الحق، باكمال مسار النور، وبناء الحق. والعائلة اللغوية التي تتصل بالثيمة بين حقلين من مفردات النور والظلام، حيث تتشكل مفردات النور في ألفاظ: (أنوار، هديك، أجلى، أينعت، استقرت) ومفردات الظلام في ألفاظ: (الربيا، اشتاط، غضباً) وتعكس الأبيات تصوراً لحضور النبي ﷺ، والأثر الذي أحدثه حضوره بين الناس، وظل يسري في نفوسهم؛ ليحقق الهداية بصورتها الكاملة.

ويتسع تمثيل ثيمة النور بعد الظلام من مشهد كوني لانبثاق نور ﷺ على الوجود، ومن التجلي الظاهري على الكون إلى بُعد وجداني وإشراق داخلي أعمق لهذا النور، حيث تصور الأبيات أثر هذا النور في داخل الإنسان، واستقرار ذكر النبي ﷺ ومحبته في القلوب؛ إذ تستدعي مظاهر الطبيعة للدلالة على امتداد التعلق، يجسد السهيمي ذلك بقوله: (٧٣)

عليك صلاة الله يا سيّد الورى  
ملأت شغاف القلب علماً وحكمة  
رسول الهدى يا من لذكراه لوعة  
عليك سلام الله ما لاح بارق  
ويا باعثاً نور الهدى في الدياجر  
ففاضت لك الأرواح من كل عاطر  
تظل مدى الأيام تسقي مشاعري  
وما سحّ مزناً في الربا والحواضر

تُبرز الأبيات حضور ثيمة النور بعد الظلام من خلال إسناد النور إلى النبي ﷺ، والتحول الذي أحدثه مجيئه مقرونا بالهدى، وتتمثل الحركة الداخلية في الأبيات من خلال تقابل مفردتي (النور، الدياجر)، بوصف الهدى لحظة فارقة لبدء النور بعد شدة الظلام، ويتعمق هذا الأثر في بنية تتصل بالامتلاء المعرفي، حيث تستثمر الأعضاء الداخلية لبيان مدى تأثير هذا النور، واستدعاء مظاهر الطبيعة تأكيداً على توسيع دائرة هذا النور، حيث إنه يملأ الشعور والكون معاً، والعائلة اللغوية التي تمثلت منها الثيمة في هذه الأبيات: (باعثاً، نور، الهدى، الدياجر، علمًا، حكمة، لاح بارق)، تجسد الأبيات نور النبي ﷺ وامتداده وتفاعله مع الوجدان والوعي معاً.

بعد أن استقر معنى مجيء النبي ﷺ وإحداثه انكشافاً معرفياً وروحياً واسعاً، فإن الشاعر ينتقل إلى بُعد آخر يتمثل في استمرار النور، وصموده أمام ما واجهه من محاولات الطمس، حيث إن نور الهداية النبوية ليس عرضة للحجب أو التحريف، وبهذا تتأكد ثيمة ثبات النور واستمراره في وجه المقاومة؛ إذ يصور السهيمي ذلك بقوله: (٧٤)

ما ضَرَّ شَمْسَكَ إِنْ هُمْ حَاوَلُوا عِبْتًا      أَنْ يَحْجُبُوا نُورَهَا يَوْمًا بِأَيْدِيهِمْ  
كَمْ أَوْقَدُوا فَتَنَةً عَمِيَاءَ وَاصْطَرَحُوا      وَظَلَّ هَدْيَكَ يَسْرِي فِي نَوَاحِيهِمْ

تعالج البيتان بعداً متقدماً في ثيمة النور بعد الظلام بمجيئه ﷺ، وفي ثبات النور ومقاومته أمام محاولات الطمس والتحريف؛ إذ إن تلك المحاولات كانت عديمة الجدوى، ويوظف (الفتنة العمياء) مقابل (يسري في نواحيهم) دلالة على بقاء الهدى النبوي واستمراره، وتتمثل العائلة اللغوية في هذين البيتين في مفردات: (شمسك، يحجبوا، نورها، أوقدوا، يسري في نواحيهم)، إذا فالثيمة هنا توضح ردة الفعل تجاه حجب النور الذي حلَّ بمجيئ النبي ﷺ بعد سريانه واتساعه.

#### نتائج البحث:

١. أن ثيمة رجاء المغفرة في المواسم الدينية قد شكّلت بعداً مركزياً في شعر محسن السهيمي، وتتجدد تلك الثيمة مع كل مناسبة من المناسبات، ففي موسم رمضان تتجلى في القلوب الراجية التي تتعلق برمضان، ومع ليلة القدر التي يتعاضم فيها الرجاء بوصفها فرصة نادرة، أما في موسم الحج فتتحد الجموع على نداء واحد لله؛ طلباً للرحمة والمغفرة، في حين يبلغ ذلك الطلب ذروته في يوم عرفة؛ لكونه أعظم أيام العتق من النار، فتتداخل حركة الشعائر مع حركة القلوب، ويتضاعف فيه الرجاء،

وإن السهيمي لا يتعاطى مع المواسم بوصفها أحداثاً عابرة، بل يتعامل معها كمحطات روحية للعبور الإلهي، فيصبح النص عنده موضع التقاء الصوت الإنساني الخاشع، والرجاء المفتوح على أبواب الرحمة والغفران.

٢. تتشكل ثيمة الفرح المرتبطة بإتمام الطاعة مع استحضار المغفرة في شعر محسن السهيمي بشكل مكثف، حيث لم تنحصر على موسم واحد من المواسم الدينية، بل تمثلت في موسمي العيد وعرفة، مما يدل على حضور ذلك المعنى في التجربة الشعرية، وقد أظهرت الثيمة انتقالاً منظماً من أداء الشعيرة إلى استجلاء أثرها، بحيث تُبرز الطاعة مع ما يترتب عليها من دلالات القبول والرضا بوصفها جزءاً مترابطاً.

٣. يتجلى في الأبيات - التي شكّلت ثيمة الصلاة وسيلة للشفاعة - تلازم لا تنفصل فيه الصلاة على النبي ﷺ عن شفاعته يوم القيامة، بوصفها الوسيلة الموصلة إلى الشفاعة، وتبرز الصلاة عليه ﷺ المرتبطة بالشفاعة في صور متعددة؛ إذ تستحضر الجانب الجماعي الذي تتناغم فيه الجموع المؤمنة في مشهد يوم القيامة، ثم جانب الالتجاء الفردي، وتتسع في تعبير حيّ تتشارك فيه عناصر الطبيعة، ليكون للصلاة حضوراً يتجاوز اللفظ ويعمّ الموجودات ويتناغم معها.

٤. تظهر ثيمة النور بعد الظلام بمجئ النبي ﷺ في تجربة السهيمي بوضوح؛ إذ بدأ بوصف المرحلة التي تسبق بعثة النبي ﷺ، حيث تنسم بالجهل والظلمة، ثم الانتقال إلى لحظة النور التي ترتبط ببعثة النبي ﷺ في نماذج متعددة؛ إذ لا يقدم المعنى نفسه بطريقة مكررة، بل يكشف عن تطور لهذه الثيمة من قصيدة لأخرى، حيث مثل ذلك التحول بالمشاهد الكونية، من خلال المقابلة بين مشاهد النور والظلام، وكذلك الأثر الداخلي من خلال تصور القلب والعاطفة، مما يدل على تفاعل وجداني مباشر مع حضور النور، وإبراز استمرارية السنة النبوية وثباتها في مواجهة الاضطراب والفتنة، وصمودها في وجه التحولات والانحرافات.

#### هوامش البحث:

(١) جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، تح: أمين محمد، محمد العبيدي، ط ١، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٥) ج ٥: مادة "ش ع ر".

(٢) ابن طباطبا العلوي، عيار الشعر، (دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٥) ٥.

(٣) قدامة بن جعفر، نقد الشعر، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط ٤، ٢٠١٥) ١٧.

(٤) زين الدين محمد الرازي، مختار الصحاح، تح: ط ١ (بيروت: دار ابن حزم، ٢٠١٥) ٢١٨.

(٥) ينظر، الشريف علي الجرجاني، كتاب التعريفات، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٥) ١٠٥.

- (٦) ينظر، محمود سالم محمد، المدائح النبوية حتى نهاية العصر المملوكي، (دمشق: دار الفكر، ط١، ١٤١٧) ١٢.
- (٧) عبد الرحمن رأفت باشا، نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد، (القاهرة: دار الأدب الإسلامي، ط٤، ١٩٩٨) ١١٣.
- (٨) ينظر، محمد صالح الشنطي، في الأدب الإسلامي قضاياها وفنونه ونماذج منه، (المملكة العربية السعودية: دار الأندلس، ط١، ١٩٩٣) ١٤٣.
- (٩) باشا، نحو مذهب إسلامي، ١١٤.
- (١٠) محمد بن سعد سعيد، الأدب الحديث تاريخ ودراسات، (المملكة العربية السعودية، دار عبد العزيز آل حسين للنشر والتوزيع، ط٦، ١٩٩٧) ج٢، ٨٣.
- (١١) ينظر، خليف بن سعد الخليف، الاتجاه الإسلامي بالشعر السعودي الحديث دراسة أدبية تاريخية، (لا يوجد دار نشر، ط١، ١٩٨٨) ٣٨.
- (١٢) ينظر، محمد بن سعد، الأدب الحديث تاريخ ودراسات، ج٢، ٨٣.
- (١٣) ابن منظور، لسان العرب، ج ١٥: مادة "و س م".
- (١٤) القرآن الكريم. الحج: ٢٢.
- (١٥) سعيد علوش، النقد الموضوعاتي، (المغرب: شركة بابل للنشر والطباعة، ١٩٨٩) ٧.
- (١٦) الحافظ ابن رجب، لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، (دمشق: دار ابن كثير، ط٥، ١٩٩٩) ٤٠.
- (١٧) القرآن الكريم. الزمر: ٥٣.
- (١٨) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين في منازل السائرين، (بيروت: دار ابن حزم، ط٢، ٢٠١٩) ج٢، ٢٦٩.
- (١٩) محمد بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، (بيروت، دار ابن حزم، ط١، ٢٠٠٥) ١٥٠١.
- (٢٠) محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، (دمشق: دار ابن كثير، ط١، ٢٠٠٢) ١٩.
- مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، (الرياض: بيت الأفكار الدولية، ١٩٨٨) ٢٩٩.
- (٢١) السهيمي، الصورة تتفح عطرها، ١٦٧.
- (٢٢) ويطلق عليه الحقل الدلالي في بعض الدراسات الموضوعاتية، ويعني مجموعة الألفاظ التي تنتظم لتكون ثيمة واحدة، لتكشف عن وحدتها الداخلية، وترتبط هذه الألفاظ فيما بينها إما بالاشتقاق، أو الترادف، أو التقارب المعنوي.
- (٢٣) السهيمي، الصورة تتفح عطرها، ١٦٨، ١٦٩.
- (٢٤) القرآن الكريم. القدر: ٣.
- (٢٥) البخاري، صحيح البخاري، ١٩. مسلم، صحيح مسلم، ٢٩٩.
- (٢٦) السهيمي، الشعر إذا تنفس، ٥٥.
- (٢٧) البخاري، صحيح البخاري، ٣٧٠. مسلم، صحيح مسلم، ٥٣٤.٥٣٣.
- (٢٨) السهيمي، الصورة تتفح عطرها، ١٧١.
- (٢٩) السهيمي، الشعر إذا تنفس، ٥٦.
- (٣٠) السهيمي، الصورة تتفح عطرها، ١٧٣.

- (٣١) مسلم، صحيح مسلم، ٥٣٣.
- (٣٢) السهيمي، الشعر إذا تنفس، ٥١.
- (٣٣) القرآن الكريم. البروج: ٣.
- (٣٤) عبد السلام طاهر الساسي، الموسوعة الأدبية، (الطائف: نادي الطائف الأدبي، ١٤٠٠) ج ٣، ١١٦. (صُحح ما بين الأقواس).
- (٣٥) القرآن الكريم. يونس: ٥٨.
- (٣٦) البخاري، صحيح البخاري، ٤٥٩. مسلم، صحيح مسلم، ٤٤٤.
- (٣٧) السهيمي، الشعر إذا تنفس، ٩٥.
- (٣٨) ابن رجب، لطائف المعارف، ٤٧٩.
- (٣٩) المرجع السابق، ٤٨١. ٤٨٢.
- (٤٠) السهيمي، الشعر إذا تنفس، ٩٦. ٩٥.
- (٤١) السهيمي، تعاويد القرى، ٦٠. ٥٩.
- (٤٢) السهيمي، الصورة تتفح عطرها، ١٦٤.
- (٤٣) أحمد بن فارس الرازي، معجم مقاييس اللغة، تح: إبراهيم شمس الدين، ط ٢ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٨) ج ٢، مادة "م د ح".
- (٤٤) ابن منظور، لسان العرب، ج ١٣، مادة "م د ح".
- (٤٥) الشريف علي الجرجاني، كتاب التعريفات، ٢٠٧.
- (٤٦) إميل بديع يعقوب، ميشال عاصي، المعجم المفصل في اللغة والأدب، (بيروت: دار العلم للملايين، ط ١، ١٩٨٧) ١١٣٣.
- (٤٧) ينظر، أحمد أحمد بدوي، أسس النقد الأدبي عند العرب، (مصر: دار نهضة مصر، ط ٨، ٢٠١١) ١٩٧.
- (٤٨) يحيى الجبوري، الإسلام والشعر، (بغداد: مكتبة النهضة، ١٩٦٤) ٧٨.
- (٤٩) القرآن الكريم. يس: ٦٩.
- (٥٠) القرآن الكريم. الشعراء: ٢٢٦.
- (٥١) الجبوري، الإسلام والشعر، ٥١.
- (٥٢) زكي مبارك، المدائح النبوية، (بيروت: دار المحجة البيضاء، ١٩٣٥) ١٧.
- (٥٣) المرجع السابق، ١٧.
- (٥٤) القرآن الكريم. التوبة: ١٢٨.
- (٥٥) القرآن الكريم. النجم: ٣.
- (٥٦) القرآن الكريم. القلم: ٤.
- (٥٧) مسلم، صحيح مسلم، ١٧٥.
- (٥٨) السهيمي، الصورة تتفح عطرها، ٥١.
- (٥٩) محمود سالم، المدائح النبوية، ٢٧٥.
- (٦٠) السهيمي، الشعر إذا تنفس، ٢٤.
- (٦١) السهيمي، الصورة تتفح عطرها، ٥٤.

- (٦٢) السهيمي، الصورة تنفح عطرها، ٥٥.  
 (٦٣) المرجع السابق، ٥٦.  
 (٦٤) السهيمي، الشعر إذا تنفس، ٥٠.  
 (٦٥) السهيمي، الصورة تنفح عطرها، ٥٠.  
 (٦٦) محمد فتح الله كولن، النور الخالد محمد مفخرة الإنسانية، تر: أورخان محمد علي، (القاهرة: دار النيل، ط١، ٢٠٠٧)، ٢٥.  
 (٦٧) القرآن الكريم. آل عمران: ١٦٤.  
 (٦٨) القرآن الكريم. المائدة: ١٥.  
 (٦٩) السهيمي، الصورة تنفح عطرها، ٥٣.  
 (٧٠) محمد فتح الله، النور الخالد، ٢٦.  
 (٧١) السهيمي، الشعر إذا تنفس، ٢١، ٢٢.  
 (٧٢) السهيمي، الشعر إذ تنفس، ٢٣.  
 (٧٣) السهيمي، الصورة تنفح عطرها، ٥٧.  
 (٧٤) السهيمي، الصورة تنفح عطرها، ٥٢.

### المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- أحمد بن فارس الرازي، معجم مقاييس اللغة، تح: إبراهيم شمس الدين، ط٢ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٨).
- أحمد أحمد بدوي، أسس النقد الأدبي عند العرب، (مصر: دار نهضة مصر، ط٨، ٢٠١١).
- ابن طباطبا العلوي، عيار الشعر، (دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٥).
- ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين في منازل السائرين، (بيروت: دار ابن حزم، ط٢، ٢٠١٩).
- إميل بديع يعقوب، ميشال عاصي، المعجم المفصل في اللغة والأدب، (بيروت: دار العلم للملايين، ط١، ١٩٨٧).
- جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، تح: أمين محمد، محمد العبيدي، ط١، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٥).
- الحافظ ابن رجب، لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، (دمشق: دار ابن كثير، ط٥، ١٩٩٩).
- خليف بن سعد الخليف، الاتجاه الإسلامي بالشعر السعودي الحديث دراسة أدبية تاريخية، (لا يوجد دار نشر، ط١، ١٩٨٨).
- زين الدين محمد الرازي، مختار الصحاح، تح: حمزة فتح الله، ط١ (بيروت: دار ابن حزم، ٢٠١٥).
- زكي مبارك، المدائح النبوية، (بيروت: دار المحجة البيضاء، ١٩٣٥).
- سعيد علوش، النقد الموضوعاتي، (المغرب: شركة بابل للنشر والطباعة، ١٩٨٩).
- الشريف علي الجرجاني، كتاب التعريفات، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٥).

- عبد الرحمن رأفت باشا، نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد، (القاهرة: دار الأدب الإسلامي، ط٤، ١٩٩٨).
- عبد السلام طاهر الساسي، الموسوعة الأدبية، (الطائف: نادي الطائف الأدبي، ١٤٠٠).
- قدامة بن جعفر، نقد الشعر، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط٤، ٢٠١٥).
- محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، (دمشق: دار ابن كثير، ط١، ٢٠٠٢).
- محمد صالح الشنطي، في الأدب الإسلامي قضاياها وفنونه ونماذج منه، (المملكة العربية السعودية: دار الأندلس، ط١، ١٩٩٣).
- محمد بن سعد سعيد، الأدب الحديث تاريخ ودراسات، (المملكة العربية السعودية، دار عبد العزيز آل حسين للنشر والتوزيع، ط٦، ١٩٩٧).
- محمد بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، (بيروت، دار ابن حزم، ط١، ٢٠٠٥).
- محمد فتح الله كولن، النور الخالد محمد مفرخة الإنسانية، تر: أورخان محمد علي، (القاهرة: دار النيل، ط١، ٢٠٠٧).
- محسن علي السهيمي، الشعر إذا تنفس (جدة: دار يسطرون للنشر، ١٤٤٦).
- محسن السهيمي، الصورة تنفح عطرها، (جدة: مجموعة تكوين المتحدة، ١٤٤٢).
- محسن السهيمي، تعاويذ القرى، (الشارقة: دار الانتشار العربي، ٢٠٢٣).
- محمود سالم محمد، المدائح النبوية حتى نهاية العصر المملوكي، (دمشق: دار الفكر، ط١، ١٤١٧).
- مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، (الرياض: بيت الأفكار الدولية، ١٩٨٨).
- يحيى الجبوري، الإسلام والشعر، (بغداد: مكتبة النهضة، ١٩٦٤).